ARID Journals

ARID International Journal of Social Sciences and Humanities (AIJSSH)

Journal home page: http://arid.my/j/aijssh

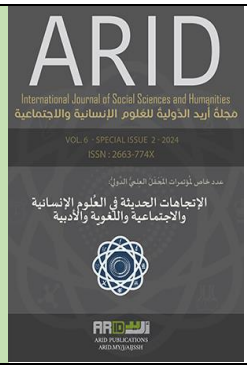

مَجلةُ أُريد الدَّوليةُ للعُلومِ الإنسانية والاجتماعية

عدد خاص (2)، المجلد السادس، مارس 2024

ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND THE CONSEQUENCES OF HUMANISM

Khalid Khettat

Faculty of Arts and Human Sciences - Moulay Ismail University - Meknes – Morocco

الذكاء الاصطناعي ومآلات النزعة الإنسانية

خاليد الخطاط

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة مولاي إسماعيل – مكناس – المغرب

k.khettat@umi.ac.ma
arid.my/0008-6336
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2024.s.74

ARTICLE INFO

Article history:
Received 23/11/2023
Received in revised form 12/01/2024
Accepted 19/02/2024
Available online 01/03/2024
https://doi.org/10.36772/arid.aijssh.2024.s.74

ABSTRACT

Throughout its philosophical history, humanism has tried to elevate man and his position in the scale of beings as a rational being in control of nature and to make it serve his happiness. Artificial intelligence has become a threat to the centrality of man due to scientific development, the dominance of technology, and the penetration of the instrumental mind into various aspects of life.

On this basis, this research attempt was guided by the paradox contained in the human relationship with artificial intelligence. Since the human mind was the one that produced artificial intelligence, how did the latter sacrifice the centrality of man and his ontological value? This paradoxical situation necessitated questioning the constants of human tendency and revealing the conditions that were able to place artificial intelligence in the position of directing the life paths of individuals and societies.

In order to achieve this requirement and to identify the various justifications and issues that explain the defeat of human tendencies and their arguments in favor of the dictates of the instrumental mind and the development it achieves in the field of artificial intelligence, this research relied on its analyses and Jean-Jacques Rousseau's position on the progress of science and the dominance of the instrumental mind, which he had come to regard at the time. Modernity as an expressive manifestation of its various manifestations.

The research concluded that the paradox contained in artificial intelligence, represented by its desire to improve the conditions of human existence at the expense of human existence itself, is a reflection of the paradox contained in human nature itself. If natural necessity imposes on man to behave in accordance with the natural law, then freedom is the field that allows the creation of new forms of existence with elements that nature could not respond to, with artificial intelligence being one of its creations .

KEY WORDS: artificial intelligence, humanism, human existence, anthropocentrism, instrumental mind .

الملخص

حاولت النزعة الإنسانية عبر تاريخها الفلسفي أن تعليَ من شأن الإنسان ومكانته في سلم الموجودات، بوصفه كائنا عاقلا مسيطرا على الطبيعة لتكون في خدمة سعادته، لكن بفعل التطور العلمي وهيمنة التقنية وتغلغل العقل الأداتي في مختلف مناحي الحياة، أضحى الذكاء الاصطناعيُ مهدّدا لمركزية الإنسان ومغيِّراً لأشكال وجوده.

على هذا الأساس، وُجِّهَتْ هذه المحاولة البحثية بالمفارقة التي تنطوي عليها علاقة الإنسان بالذكاء الاصطناعي. إذْ لمّا كان العقل الإنساني هو من أنتج الذكاء الاصطناعي، فكيف ضَحّى هذا الأخير بمركزية الإنسان وقيمته الأنطولوجية؟ هذا الوضع المفارق اقتضى مساءلة ثوابت النزعة الإنسانية، والكشف عن الشروط التي استطاعت أن تُبَوِّئَ الذكاء الاصطناعي موقع الموجه لمسار حياة الأفراد والمجتمعات.

ولتحقيق هذا المطلب، وللوقوف على مختلف المسوغات والقضايا التي تفسر اندحار النزعة الإنسانية ومقولاتها لصالح إملاءات العقل الأداتي، وما يحققه من تطور في مجال الذكاء الاصطناعي، تَوَسَّلَ هذا البحث في تحليلاته، بموقف جان جاك روسو من تقدم العلوم وهيمنة العقل الأداتي الذي بات ينظر إليه في زمن الحداثة بوصفه تجلٍّ معبر عن مختلف مظاهرها.

هذا وخلص البحث إلى أن المفارقة التي ينطوي عليها الذكاء الاصطناعي المتمثلة في رغبته في تحسين شروط الوجود الإنساني على حساب وجود الإنسان نفسه، هي انعكاس للمفارقة التي تنطوي عليها الطبيعة الإنسانية نفسها، فإذا كانت الضرورة الطبيعية تفرض على الإنسان أن يسلك بمقتضى السنة الطبيعية، فإن الحرية الإنسانية هي المجال الذي يسمح بإبداع أشكال وجود جديدة بمقومات لم تستطع الطبيعة الاستجابة لها، ليشكل الذكاء الاصطناعي إحدى إبداعاتها.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي، النزعة الإنسانية، الوجود الإنساني، مركزية الإنسان، العقل الأداتي.

المقدمة:

تأسست خطابات النزعة الإنسانية على الإعلاء من شأن الإنسان ومنزلته في سلم الموجودات، ما دام هو الكائن الوحيد العاقل القادر على السيطرة على الطبيعة بالكشف عن قوانينها والتنبؤ بأحوالها، لتكون في خدمة الإنسانية وسعادتها. لقد استلزم هذا المطلب تطورا علميا وهيمنةً تقنيةً وتغلغلا للعقل الأداتي في مختلف مناحي الحياة، والذي يعبر عنه الذكاء الاصطناعي أفضل تعبير في وقتنا الراهن، وما يترتَّبُ عنه من تهديد لمركزية الإنسان في العالم وتغيير في أشكال الوجود البشري.

مشكلة البحث:

إن هذا الحال يشي بمفارقة بيّنةٍ تنطوي عليها علاقة الإنسان بالذكاء الاصطناعي. ويمكن أن يُعَبَّرَ عنها بالسؤال الآتي:

كيف للذكاء الاصطناعي الذي كان العقل الإنساني علَّته، استطاع أن يهدد مركزية الإنسانية وقيمته الأنطولوجية؟

وبتعبير آخر **كيف للعقل الإنساني أن يدعي تعزيز مركزية الإنسان وفي الآن نفسه يكون مهددا لها؟**

هذا الأمر يفرض مساءلة ثوابت النزعة الإنسانية المؤسسة على العقل، والتي ما فتِئَت تجعل خاصية العقل مقصورةً على الإنسان دون غيره ومحددةً لماهيته، كما يستلزم الأمر كذلك، الكشف عن الكيفية التي استطاع أن تبوّأ بها الذكاء الاصطناعي موقع الموجه لمسار حياة الأفراد والمجتمعات.

من هذا المنطلق سنستدعي موقف جان جاك روسو من التقدم الذي حازته العلوم وأثرها على الوجود الإنساني وتمظهراته إلى جانب موقفه من العقل الأداتي، ومضمون نقده له الذي اتخذه أساسا لنزعته الإنسانية التي تعلي من شأن الطبيعة وناموسها. إن العودة لهذا الموقف بالضبط حائزةٌ على مشروعيتها، لتشابه معطيات سياق التبلور مع ما يترتب عن الذكاء الاصطناعي من ابتعاد عن الطبيعة الإنسانية واستلاب لحريتها بفعل تكثر الرغبات والحاجات المصطنعة المضافة على ما هو طبيعي.

أهمية البحث:

إن قيمة هذا البحث الفلسفي لا تتجلى في عرض الأفكار الفلسفية الخاصة بالنزعات الإنسانية بمختلف مشاربها ومواقفها، وإنما يتحصل هذا البحث قيمته بالكشف عن الوضع المفارق الذي يمكن أن يسقط فيه العقل في مواجهة الحياة، وتحدياتها التي تفرض عليه في كثير من الأحيان القبول بالتخلي عن موقع الريادة ورهانات الوجود الإنساني الذي ترسمه الفلسفة للإنسان لصالح الذكاء الاصطناعي.

إن الغاية القصوى لهذا البحث تتحدد في استنباط نتائج، وإن لم تكن يقينية، فإنها ستسمح بتعميق البحث في قضايا الوجود الإنساني في ظل متغير الذكاء الاصطناعي الذي يقدم نفسه اليوم بوصفه ضرورة أنطولوجية تحتاج إعادة النظر في فهمنا للإنسان وقدراته وإخفاقاته.

منهج البحث:

لتحقيق مطلب التحليل والمقارنة، في أفق استخلاص هذه الدراسة الفلسفية لنتائجها، سنتوسل بآليتي التحليل والمقارنة للوقوف على مختلف المسوغات والقضايا التي تُفَسِّرُ ٱنْدِحارَ النزعات الإنسانية ومقولاتها لصالح إملاءات العقل الأداتي، وما يحققه من تطور في مجال الذكاء الاصطناعي الذي أصبح شرطا وجوديا، تنعكس فيه مفارقات عدة من أهمها هذه التقابلات المفهومية: (**الطبيعة، العقل**)، (الحرية، الاستلاب)، (الطبيعي، الاصطناعي)... والتي سنحاول الكشف عنها من خلال محورين أساسيين لهذه الورقة: **المحور الأول** يهم الذكاء الاصطناعي وإحراجاته للنزعة الإنسانية، أما **المحور الثاني** يكشف عن راهنية موقف جان جاك روسو من العقل في سياق هيمنة الذكاء الاصطناعي.

الدراسات السابقة:

ومن بين الدراسات التي قاربت موضع الذكاء الاصطناعي في علاقته بالإنسان ومستقبله، ما ذهت إليه الأستاذة الشرفية ليز فييرا Lise VIEIRA في مقالتها المعنونة بـ " الذكاء الاصطناعي: إنكار الوعي أم إنسانية جديدة؟ L'intelligence artificielle : déni de conscience ou nouvel humanisme ? " الصادرة في العدد الحادي عشر سنة 2022 من مجلة" Communication, technologies et développement" والتي حاولت فيها إبراز الجاذبية التي يمارسها الذكاء الاصطناعي وما تلقاه الآفاق الجديدة التي يفتحها للإنسانية من انبهار، مشيرة في الآن نفسه إلى أن التطبيقات الإيجابية التي تم تطويرها في العديد من المجالات بفضل الذكاء الاصطناعي لا تخفي السجالات القوية والمحتدمة التي تحذر من الآثار المدمرة التي يمكن أن تلحق بالإنسانية بسبب هذا التقدم التكنولوجي. بوجه عام قاربت هذه الدراسة الذكاء الاصطناعي من زاوية آثاره التي لخصتها في السؤال الآتي: إلى أي يعبر الذكاء الاصطناعي عن عبقرية الإنسان وتقدمه وفي الآن نفسه ينذر بعبودية وشيكة وجديدة للبشرية. **و**جدير التذكير، في هذا السياق أيضا، بموقف العالم البريطاني الشهير **ستيفن هوكينغ** الذي عبر صراحة عن مخاوفه من أن يحل الذكاء الاصطناعي محل الإنسان وما يترتب عن ذلك من أنماط وأشكال جديدة من الحياة تفوق البشر نفسه.

أولا: الذكاء الاصطناعي وإحراجاته للنزعة الإنسانية

يشكل الذكاء الاصطناعي اليوم وجها من أوجه التفوق الذي حقّقه الإنسان على وجه البسيطة. ويعود الفضل في ذلك إلى قدرة العقل الإنساني على تحويل الأفكار العلمية النظرية، التي يستمدها من مختلف مشارب المعرفة العلمية، إلى تقنيات وأدوات تضع العقل نفسه في موقف انبهار واندهاش. وما يزيد الإعجاب بما يحققه الذكاء الاصطناعي هو الدقة الإنجازية والاقتصاد في الزمن والجهد.

إن مساءلة واقع الذكاء الاصطناعي وأسباب تغلغله في مختلف مجالات حياتنا اليوم، يقتضي منا البحث في الخلفية الفلسفية التي جعلت من واقعته ممكنة من الناحية النظرية، أي ما الذي جعل الفكر في لحظة ما يثق في العقل وقدرته على خلق بدائل تضمن الاستعاضة عن الإنسان، وفي الآن نفسه تستجيب لمطالبه واحتياجاته التي تزيد عن تلك التي تتكفل بها الطبيعة.

يشهد تاريخ تطور الفكر الفلسفي على المسار الذي قطعه الإنسان ليصير إشكالا فلسفيا جديرا بالاهتمام والنظر الفلسفيين. وتعبر الحداثة الفلسفية في مختلف خطاباتها على تبلور نزعة إنسانية تبوّئ الفرد مركزا يجعله غاية في حد ذاته كما أقر بذلك إيمانويل كانط. إن الإنسان باعتباره جسما لا يساوي شيئا بالقياس إلى امتداد العالم، لكن قيمته لا تتحدد بالحجم أو المقدار بماهي أحوال للامتداد، بل **تقاس بالفكر**.

العالم امتداد قاصر وعاطل والإنسان عملاق بفكره لا بامتداده كما بلورته الفلسفة الديكارتية. إن هذا المعطى الفلسفي أسس لظهور نزعة إنسانية قوامها الإيمان بقدرة العقل والعقل وحده. لم يتوقف تأثيره عند حدود القول الفلسفي ومضمون التصورات الملحقة بالإنسان، ولكنه أفرز وضعا إبستيميا جديدا تنحى بموجبه **براديغم الموضوع** ليحل محله **براديغم الذات** الذي جعل من **الفرد المفكر نقطة البداية** التي ميزت الأزمنة الحديثة كما يؤكد ذلك باسكال: «إن الفكر يصنع عظمة الإنسان. وما الإنسان إلا قطعة قصب، وهي أضعف ما في الطبيعة، غير أنه قطعة قصب تفكر. لا يلزم أن يتسلح العالم بكامله لسحقه، إذ أن بخارا أو قطرة ماء تكفي لقتله. ولكن حتى عندما يهشمه العالم، فإن الإنسان يبقى أنبل ممن يقتله، لأنه يعلم أنه يموت وأن العالم يغلبه، أمال العالم فلا يعرف شيئا عن ذلك» (Pascal, 1963, pp. 346-347)، بل وجعل الذات المفكرة **نقطة بدء** لإعادة **خلق العالم** للسيطرة عليه والاستفادة من خيراته الطبيعية خدمة لسعادة الإنسان.

هكذا، ساهمت الفلسفة الحديثة إلى جانب التغيرات الاجتماعية والتقدمات العلمية في اتساع رقعة حركة التنوير. وُسِمَتْ حقبة عصر التنوير بتفاؤل تقدمي قوامه العقل وأفضلية النوع الإنساني وحرية الفرد. لقد رسمت الأنوار طريق الخلاص بحلول العقل محل الإنجيل، فصار بإمكان الفرد اكتشاف جوهره الداخلي، وتحقيق تقدمه المادي واستقلاليته التدريجية عن كل سلطة خارجية بما فيها وصاية اللاهوت. تحرر الفكر، وأصبح الإنسان فرد ونوعا واثقين من تحصيل السعادة التي رفعت شعارها النزعة الإنسانية المؤسسة على العقل وجعلتها غاية الغايات.

لقد آمنت فلسفة التنوير بتحقيق التقدم وراهنت على العلم في تحقيقه. لقد منحت الإنسان وضعا اعتباريا، عزَّز فيه الثقة وفتح له آفاق البحث عن سعادته خارج حدود الاستعدادات الطبيعية وولد فيه رغبة جامحة للتفوق والسيطرة والهيمنة على باقي المخلوقات وخلق لديه حاجات جديدة لا يمكن أن يلبيها سوى العقل بنمذجة الواقع والكشف عن قوانينه وتحويلها لأدوات ووسائل وتقنيات. وعلى هذا النحو، يمكن القول إن الإيمان بقوة العقل وقدراته فتح المجال للانفلات من الطبيعة وحدودها للارتماء في أحضان واقع اصطناعي، لم يعد يهمن على الطبيعة الخارجية وحسب، وإنما على الطبيعة الإنسانية ذاتها التي لم تقدر على الاستجابة لما استحدث من حاجات اصطناعية بفعل الذكاء الاصطناعي. إن النزعة الإنسانية التي أعلت من شأن العقل وراهنت عليه في تحقيق السعادة، تجد نفسها غير قادرة على كبح جماح هذا العقل الذي لم يسلم منه الإنسان نفسه، وبات وجوده محكوما بذكاء يشق طريقه بحرية وفق منطق أداتي تقني خاص يتجاوز الحرية الإنسانية نفسها، ليبقى الإنسان في وضع استلاب يفقده حريته بالرغم من المنافع التي يجنيها من وراء العقل الأداتي.

ثانيا: راهنية موقف جان جاك روسو من العقل في سياق هيمنة الذكاء الاصطناعي

اعتبرت فلسفة التنوير أساسا فلسفيا للنزعة الإنسانية في الفترة الحديثة. فغالبا ما وظفت مفاهيم مثل مفهوم الفرد والعقل والتقدم بالرغم من الاعتراضات التي عرفتها والانتقادات النظرية عليها. إذ ظهر تحليل جديد لمفهوم العقل مع روسو ونقد سوسيولوجي لفكرة التقدم كما هو الحال مع روسو. فبعدما اعتقدت النزعة الإنسانية المؤسسة على العقل، أنها استنفذت إشكالية موضوع الإنسان برمته، عاد روسو ليفتتح مقدمة **خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر** (روسو, 2009, ص. 66-67) بالتأكيد على قيمة البحث في الإنسان ومعرفته حيث يقول: «أكثر المعارف الإنسانية نفعا وأقلها تقدما من بينها جميعا، إنما ما بدا لي على أنه المعرفة بالإنسان» (روسو, 2009, ص. 51). هكذا يتخذ روسو من الإنسان مفتاحا وأساسا لخطابه الفلسفي، ويعيده بهذا الموقف النقدي إلى الواجهة الفلسفية كإشكال متجدد.

اختلف روسو مع فلسفة التنوير ودعاتها بخصوص هيمنة العقل والإيمان المفرط في قدرته على تحقيق السعادة والمصلحة الفرديتين. ففي الوقت الذي أشاد فيه فلاسفة التنوير بدور العقل والعلوم والفنون، وأعلو من شأنها جاعلين منها طريق الخلاص والسعادة، قدم روسو رعاية خاصة للمشاعر والأخلاق. فـالفن الذي حظي بمكانة رفيعة لا يعلما من وجهة نظر روسو سوى التعبير عن مشاعرنا بطريقة مصطنعة قبل أن يهذب الفن سلوكنا (روسو, 2010, ص. 21) وحيث أثنى فلاسفة عصر التنوير على الفرد ومنفعته الذاتية وأعلوا من قيمة التقدم، ذهب روسو لتمجيد الطبيعة الكامنة في الإنسان. وهو الموقف الذي دافع عليه روسو في مؤلفه **خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر**. والذي يمكن اعتباره منعطفا تصحيحيا واستجابة نظرية لما آلت إليه النزعة الإنسانية كما سبقت الإشارة لذلك من تضاد بين الطبيعة والعقل.

إن الموقف النقدي الذي خص به روسو بعض مسوغات الأنوار ينبغي فهمه في سياقه النظري، دون الحكم، بأي حال من الأحوال، أن روسو كان مضادا للتنوير وأفكاره بإطلاق. فهو غالبا ما اتفق مع النظرة القائلة بخيرية الإنسان· كما ساهم في الدعوة القاضية بضرورة التنوير كسلاح ضد الاستلاب والتبعية. فإذا كان فلاسفة الأنوار يرون أن أصل الشر كامن في الجهل والتبعية وعدم التسامح بحكم التقاليد والأعراف وأن العلاج كامن في التنوير القائم على العقل الذي يعتبر أساسا للعلم لضمان التقدم الحضاري بالمعرفة والعلم، فإن روسو فكر خلافا لذلك، واعتبر أن أصل الشر في الحضارة والعلم عندما يتعارضان مع الطبيعة ولا ينصتان لصوتها الذي لا يكذب. وهو الموقف الذي جسده روسو في **الخطاب الأول** الحائز على جائزة أكاديمية ديجون.

هذا الموقف يبرر دعوة روسو لاعتبار الطبيعة في الإنسان. وهذا هو ما يجعل، في اعتقادنا، روسو تنويريا مضادا لدعاة التنوير المؤمنين بقدرة العقل الأداتي على تحقيق السعادة للبشرية أفرادا ومجتمعات. لقد حظي مفهوم الطبيعة في فكر روسو بمكانة محورية .ففي مؤلفه **إميل** يتحدث روسو عن طريقته في التربية حسب الطبيعة. فمنذ البداية وفي الجملة الأولى من الكتاب يبسط لنا مبدأه الرئيس حين يقول: «يخرج كل شيء من يد الخالق صالحا، وكل شيء في أيدي البشر يلحقه الاضمحلال» (Rousseau, 2009, p. 11) إن الطبيعي

بالنسبة لروسو يشير في الآن نفسه إلى ما هو أصلي وأساسي في الطبيعة الإنسانية وإلى كل ما هو أصلي أو بدائي. تتحدد دلالة "**الطبيعي**" إذا، من خلال كل ما يتعارض مع ما يُكْتَسَبُ خلال صيرورة التطور بالنسبة للنوع الإنساني وأفراده. إن دلالة كلمة الطبيعي لا تعني شيئا آخر سوى ماهية الإنسان، وما تتحدد به في الأصل. إنها تضع الطبيعي في تعارض تام مع فكرة التقدم الإنساني، حيث يصبح التطور التاريخي عبارة عن مسيرة انحطاط إنساني، تبعدنا عن الخير الثاوي في الطبيعة. يقول روسو: «إذا ما ألغينا هذا التقدم المنكود، وقضينا على أخطائنا ورذائلنا... لن نرى في الوجود إلا ما هو خير» (Rousseau, 2009, p. 406) وهذه الدلالة هي بمثابة صدى للعبارة التي افتتح بها روسو مؤلف **إميل**.

هكذا، يظهر أن روسو لا يرفض العقل واستخداماته، وإنما يضع شروطا وحدودا قبلية عن كل استخدام تتحدد في تلك التي لا تتعارض مع طبيعة وماهية الإنسان. فإذا كان كل شيء على حال من الصلاح في مبدئه، فإن ما سيسعى إليه العقل، وفي مقامنا هذا الذكاء الاصطناعي، يقتضي بالضرورة الاتفاق مع الطبيعة وما تقتضيه. وعليه، لا يمكن مع روسو الرهان على العقل، لأنه لا يشكل الخاصية الجوهرية في الإنسان بقدر ما ينبغي الرهان على خاصية الحرية التي ينفرد بها الإنسان عن كل المخلوقات.

يرى صاحب مؤلف إميل أن التمييز بين الإنسان والحيوان لا يكون بالتفكر كما أقر بذلك أرسطو والتقليد الفلسفي السائد وقتها، ما دام كل حيوان حائز على أفكار بفعل حواسه، يستطيع تركيب هذه الأفكار إلى حد معين، والإنسان، في هذا، لا يختلف عن البهيمة إلا اختلاف الأكثر والأقل (روسو, 2009, ص. 83). وعليه لا يمكن أن نَتَّخِذَ من التفكر معيارا للتمييز بين الإنسان والحيوان. فحسب روسو التمييز النوعي الذي للإنسان بين سائر الحيوان لا يقيمه الذهن بقدر ما يصنعه كون الإنسان **فاعلا حرا** (روسو, 2009, ص. 83). ويقر روسو الأمر نفسه عندما يقول: «إني لا أرى في كلّ حيوان إلاّ آلة محكمة الصنع، وهبتْ لها الطبيعة حواسّ لأجل تصريف نفسها بنفسها، ولأجل أن تتّقي، إلى حدّ معيّن، كلّ ما ينزع إلى تدميرها أو تعطيل عملها. وإنّي لأرى، على وجه الضبط، الأشياء نفسها في الآلة الإنسانية عدا فرقا واحدا وهو أن الطبيعة بمفردها تقوم بكل شيء فيما تأتيه الآلة البهيمية من أفعال، على حين أن الإنسان يأتي أفعاله بصفته فاعلا حرا، البهيمة تقبل أو ترفض عن غريزة، والإنسان بمقتضى فعل حر» (روسو, 2009, ص. 82-83)

لقد استطاع روسو أن يتخلص من هيمنة الكوجيطو الديكارتي عندما أقر أن ما يتقوم به الإنسان هو الحرية التي تجعله في الآن نفسه سيدا على نفسه وعلى مصيره ومسؤولا بشكل واع عن أفعاله. لقد نقل الإنسان من مملكة العقل إلى مملكة الإرادة التي تجعل الإنسان كائنا أخلاقيا بامتياز. وهو ما ينقلنا من نزعة إنسانية متقومة بالعقل إلى نزعة إنسانية مؤسسة على الضمير.

إن راهنية موقف جان جاك روسو من العقل الأداتي، وفي سياق هيمنة الذكاء الاصطناعي، لا تتمثل في رفض العقل واستعمالاته والتخلي عن مزايا هذا الذكاء، وإنما هي بمثابة دعوة لتغيير المواقع: فعوض أن يلهث الإنسان وراء طموحاته التي تبعده عن طبيعته، ويطلق فيها العنانَ للعقل ليفعل ما يقدر عليه، وجب على الإنسان أن يحتل موقع الموجه والمؤثر، باعتباره كائنا حرا مريدا، حريته لا تتحقق

إلا بالتصرف وفق ما يحفظ طبيعته ويتوافق وضميره الأخلاقي الذي لا يخاطب فيه سوى إنسانيته. فإذا فشلت النزعة الإنسانية المتقومة بالعقل في حفظ الإنسان من سلبيات الذكاء الاصطناعي، فإن النزعة الإنسانية كما بلورها روسو تضع الإنسان في منزلة الاختيار والتقرير بشأن استخدامات الذكاء الاصطناعي ومساراتها. إذ لما كان الإنسان قيمة تعلو فوق كل القيم، كان مسؤولا على استخدام حريته وتوجيه إرادته وعلى ما يحصده من سوء أو حسن التعامل مع الذكاء الاصطناعي الذي يقدم نفسه كمعطى أساسي في حياتنا اليومية.

نتائج الدراسة واستنتاجاتها:

بالمحصلة، ومن خلال ما سبق، تبقى المفارقة التي ينطوي عليها الذكاء الاصطناعي المتمثلة في رغبته في تحسين شروط الوجود الإنساني على حساب وجود الإنسان نفسه، هي انعكاس للمفارقة التي تنطوي عليها الطبيعة الإنسانية نفسها، فإذا كانت الضرورة الطبيعية تفرض على الإنسان أن يسلك بمقتضى السنة الطبيعية، فإن الحرية الإنسانية هي المجال الذي يسمح بإبداع أشكال وجود جديدة بمقومات لم تستطع الطبيعة الاستجابة لها، ليشكل الذكاء الاصطناعي إحدى إبداعاتها. ومن خلال كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائج والاستنتاجات الآتية:

- إذا كان إن مسار ظهور الذكاء الاصطناعي يعكس الطموح الإنساني في تطوير أشكال الوجود وشروط العيش بغية معانقة السعادة المأمولة التي راهنت عليها الأنوار في مختلف خطاباتها، فإن هذا المسار يفتح أفق السعادة الإنسانية على إمكانات جديدة تسعف الإنسان على تجاوز المعضلات الطبية والصعوبات التدبيرية والإدارية والقضايا التربوية...
- إن النزعة الإنسانية العقلانية أعلت من شأن العقل في إغفال تام للطبيعة الإنسانية الأمر الذي يمكن اعتباره رهانا ناجحا تمثل في بروز معطى الذكاء الاصطناعي لتحقيق السعادة والخير الأسمى.
- إن تغلغل الذكاء الاصطناعي في حياة الأفراد، ولحكم العادة، يولد لدى الإنسان حاجات ورغبات جديدة تجعله مستلبا لا يقوى على التخلي عن إشباعها بعدما كان حرا مكتفيا بإشباع حاجاته الطبيعية، لكنه في الآن نفسه يفتح أفق الوجود الإنساني على تطوير ذاته والتحرر من قيوده الطبيعية نحو تحقيق الاكتمال الذي وعدة به فلسفة جان جاك روسو ومسار التاريخ كما رسمته فلسفة كانط.
- إن النجاحات التي يحققها اليوم الذكاء الاصطناعي، والتي يمكن أن يبهرنا بها في المستقبل، إلا أن الرهان عليه كمعطى واقعي، يستلزم تحكيم الضمير والإنصات لصوت الإرادة، فلضبط مسارات الذكاء الاصطناعي واستخداماته يبقى مشروطا بتحميل الإنسان مسؤوليته الأخلاقية بوصفه كائنا متقوما بالحرية والإرادة.
- وفي الختام، إذا كان الذكاء الاصطناعي عاجزا على وعي مساراته وتوجيهها، ويبقى في حاجة ماسة إلى إرادة إنسانية تحفظ للنوع والأفراد مكانتهم وتنظر إليهم كغايات لا كوسائل، فإن هذا الوضع يفتح أفقا جديدا للبحث والتأمل الفلسفيين من خلال اجتراح مبحث جديد في نطاق الفلسفة الأخلاقية التطبيقية ينهم بأنسنة الذكاء الاصطناعي عبر بخلق جسور الحوار بين مختلف المباحث والمجالات المنشغلة بالذكاء الاصطناعي واستخداماته في مجالات الحياة.

قائمة الفهارس والمراجع

[1] Pascal, Blaise. 1963. Pensées. Paris : Seuil collection intégrale. P. 346-347.

[2] روسو، جان جاك. 2009. خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر. ترجمة: بولس غانم. تدقيق وتعليق وتقديم: عبد العزيز لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص. 66-67.

[3] روسو، جان جاك. 2009. خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر. ترجمة: بولس غانم. تدقيق وتعليق وتقديم: عبد العزيز لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص. 51.

[4] روسو، جان جاك. 2010. مقالات، في العلوم والفنون، في الاقتصاد السياسي، في أصل اللغات. ترجمة: جلال الدين سعيد ومحمد محجوب. تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا. ص. 21.

[5] Rousseau, J.J. 2009. Émile ou de l'éducation. Présentation et notes : André Charrak. Paris : Flammarion. p. 11.

[6] Rousseau, J.J. 2009. Émile ou de l'éducation. Présentation et notes : André Charrak. Paris : Flammarion. p. 406.

[7] روسو، جان جاك. 2009. خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر. ترجمة: بولس غانم. تدقيق وتعليق وتقديم: عبد العزيز لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص. 83.

[8] روسو، جان جاك. 2009. خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر. ترجمة: بولس غانم. تدقيق وتعليق وتقديم: عبد العزيز لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص. 83.

[9] روسو، جان جاك. 2009. خطاب في أصل التفاوت وفي أسسه بين البشر. ترجمة: بولس غانم. تدقيق وتعليق وتقديم: عبد العزيز لبيب. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ص. 82-83.